اليهود والصهيونية في الاتحاد السوفياتي

(ملامح عامة)

فايز ساره

لعلّه من نافل القول، ان السنوات الاخيرة، وما تمخّضت، عنه، سياسة الزعيم السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، قد أعادت طرح كثير من القضايا السوفياتية، على الصعيدين، الداخلي والخارجي. ومن بين هذه القضايا كانت «اليهودية والصهيونية»، وهي قضية بدا، في أوقات سابقة، انها وجدت حلولاً، واستقرّت، بشكل ما، في سياق السياسة، والمجتمع، في الاتحاد السوفياتي.

والحقيقة التي حملتها سنوات البيريسترويكا، وما تضمّنته من خطوات، أبرزت ان قضية «اليهود والصهيونية» كانت من جملة قضايا اختفت تحت الرماد، وقد وجدت في السياسة الجديدة فرصة للعودة الى المسرح السوفياتي، وأخذت تفرز نتائجها على الصعيدين، الداخلي والخارجي. واذا كان الموضوع الأخير خارج اهتمام هذه الدراسة، فان هذه الدراسة تأخذ على عاتقها اعادة طرح الملامح العامة لـ «اليهود والصهيونية» في الاتحاد السوفياتي، في محاولة لتلمّس المدى المتاح لتطوّر هذه القضية، واحتمالاتها على تطوّر قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وقضية فلسطين.

اليهود في الاتحاد السوفياتي

يمثّل عدد اليهود في الاتحاد السوفياتي، حالياً، ما يزيد قليلاً على نصف بالمئة من اجمالي السكان؛ وهم موزّعون على مختلف جمهوريات الاتحاد السوفياتي بنسب متفاوتة. ويعود تاريخ وجودهم، هناك، الى ما قبل قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية، في العام ١٩١٧، حيث كانت أعداد كبيرة منهم تعيش في روسيا القيصرية، والتي كانت تضمّ، أيضاً، بولونيا؛ وفي الأخيرة، كانت تعيش مجموعة كبيرة من اليهود.

وطبقاً لاحصاءات العام ١٨٨٠، فقد كان عدد اليهود في روسيا القيصرية، وبولونيا، ٤,٢٥ ملايين نسمة، يشكّلون ما نسبته ٥٦,٢ بالمئة من اجمالي عدد اليهود في العالم، والبالغ، في حينه، حوالى ٧,٥ ملايين[١].

وقد تراجع عدد اليهود، بعد قيام الثورة وانفصال بولونيا، بشكل كبير، فوصل عددهم، في العام ١٩٢٦، الى ٢,٦ مليون نسمة، وذلك نتيجة عاملين: الاول، انفصال بولونيا عن الاتحاد السوفياتي، وفيها أعداد كبيرة من اليهود؛ والثاني، الهجرة اليهودية الواسعة التي بدأت مع أوائل ثمانينات القرن الماضي، والتي سارت في اتجاهين، أكبرهما نحو بلدان وسط غرب اوروبا، ثمّ الى القارة